لبداوي، كوثر، «ديناميات الروابط الاجتماعية بجماعة «أسرير»-وادنون بين الماضي والحاضر»، **المجلة الإفريقية للعلوم الإنسانية والاجتماعية**، العدد 7، 2024، ص. 26-49 https://revues.imist.ma/index.php/RASHS/index

ديناميات الروابط الاجتماعية بجماعة «أسرير»- وادنون بين الماضي والحاضر

كوثر لبداوي[1]

ملخص:

تسعى هذه المقالة إلى تقديم قراءة تركيبية للأدبيات التي اهتمت بجماعة «أسرير» من منظور العلوم الاجتماعية بين جيلين اثنين من الباحثين، بين الأمس واليوم: زمنان مختلفان وسما الروابط الاجتماعية بثنائية الاستمرار والتغير. وقد تم بناؤها من خلال ثلاثة محاور تتفصل فيما بينها وتتدرج من الماكرو-اجتماعي إلى الميكرو-اجتماعي، تنطلق من تناول جماعة «أسرير» من حيث هي جزء من تاريخ منطقة "وادنون"، ومن حيث انتماؤها إلى الكونفيديرالية القَبَلية "تكنا". بعد ذلك، نقدم من خلال محور ثانٍ عرضا تركيبيا لدراسات أحمد الجماني، الذي يحلل من منظور التاريخ الاجتماعي المجهري قرية «أسرير»، مقدما عناصر فهم مهمة للديناميات المجالية والبشرية والمحددات المادية التي أدت إلى تشكل حاضر الهويات الاجتماعية التي تتساكن بالمنطقة وتتراتب فيما بينها. وعمدنا في الأخير إلى تقديم أهم الدراسات السوسيولوجية والأنثروبولوجية المتأخرة التي اشتغلت على فهم أثر الروابط الاجتماعية ذات الطابع القبلي والعائلي على ديناميات التنمية المحلية بجماعة «أسرير» في الزمن الراهن.

الكلمات المفتاحية: «أسرير»- تكنا- التنمية المحلية - القبيلة- وادنون

[1] . أستاذة باحثة، شعبة علم الاجتماع، مختبر الأبحاث والدراسات الثقافية والاجتماعية LaRECS، كلية الآداب والعلوم الإنسانية-سايس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس.

Kawtar.lebdaoui@usmba.ac.ma

Dynamics of Social Ties in the Asrir-Oued Noun Community Between Past and Present

Kawtar LEBDAOUI*

Abstract :

This article aims to display a synthetic review of the literature that has approached the Asrir community from a social sciences perspective between two generations of researchers, across past and present: two different time periods clearly noticeable by the dual nature of social ties, balancing continuity and change. It is structured around three interlinked sections, developing from the macro-social to the micro-social level. It starts with a discussion of the Asrir community as part of the history of the Wadnoun region and its belonging to the "Tekna" tribal confederation. This is followed by a synthesis of a later studies by Ahmed Jomani, who analyzes the village of Asrir from a micro-social history perspective, displaying crucial insights into the spatial and human dynamics and material determinants that framed the present social identities co-existing in and stratified within the region. Finally, we present the recent sociological and anthropological studies, in which researchers explored the impact of tribal and family-based social ties on the dynamism of local development in the Asrir community in contemporary times.

Keywords: Asrir, Tekna, Local Development, Tribe, Ouadnoun

* Enseignante chercheure, Département de Sociologie, Laboratoire des Recherches et Etudes Culturelles et Sociales LaRECS, Faculté des lettres et des sciences humaines-Sais, Université Sidi Mohamed Ben Abdellah, Fès.

Kawtar.lebdaoui@usmba.ac.ma

تقديم:

من الصعب العودة إلى ماضي جماعة «أسرير» وفهم حاضر ديناميات التنمية المحلية في غياب الرجوع إلى الأدبيات التي تناولت قرى جماعة «أسرير» باعتبارها مكوّنا جغرافيا أساسيا من مكونات منطقة وادنون وجزء من تطور التركيبة البشرية للاتحاد القبلي تكنا جنوب المغرب. ولعل السمة الأساسية التي تخترق ماضي المنطقة وتاريخها هي ارتباطها من جهة بالذاكرة الشفوية الجماعية، بالكتابات التي حملتها الرحلات الاستكشافية وتلك التي أنتجت ضمن سياق كولونيالي صرف من جهة ثانية، وبالأدبيات التي أنتجها الباحثون المغاربة الذين خبروا المنطقة بحكم الانتماء والتكوين الأكاديمي، من جهة ثالثة.

فضلا عن ذلك، تنقسم الأدبيات التي اهتمت بجماعة «أسرير» حسب جيلين اثنين من الباحثين، الأول اهتم بها باعتبارها تاريخيا جزء من قبائل تكنا وجغرافيا من وادنون، بينما درسها الثاني من منظور العلوم الاجتماعية وخصص لها جميع أدوات التاريخ والسوسيولوجيا ليحلل حاضرها من زاوية نقدية وموضوعية يتفاعل فيها الميكرو/ماكروتاريخي والميكرو/ماكروسوسيولوجي.

ولئن كنا لا ننتمي من حيث التخصص إلى العلوم التاريخية، ولا ندعي تحقيقا من هذا المنظور، فإننا نعي أهمية استحضار المعطيات التاريخية والاجتماعية المتعلقة بماضي جماعة «أسرير» من حيث المجال الجغرافي والخصوصيات البشرية، لما يتيحه من فهم للعديد من الاستراتيجيات الجماعية التي تمتد جذورها إلى شبكة العلاقات التي نسجت في الماضي والصراعات التي قامت حولها. لقد ظلت هذه الديناميات تتجدد لتأخذ صورا مختلفة في الزمن الحاضر، تنكشف أكثر مع الدراسة السوسيوأثروبولوجية للمؤسسات والتنظيمات المعاصرة التي انبثقت بشكل ملحوظ مطلع الألفية الجديدة، والتي حملت العديد من مظاهر التغير الاجتماعي والثقافي وانتظمت حولها رهانات الأفراد والجماعات على حد سواء.

سنركز ضمن هذه المقالة على مراجعة أهم الأدبيات التي تناولت تاريخ المنطقة من منظور ضباط الاستعمار الفرنسي خاصة تلك التي أنتجها "فريديريك دو لا شابيل" (F.De La Chapelle) التي تغتني بالوصف والتحليل للقبائل الصحراوية، وتلك التي أنتجها مفكرون مغاربة على رأسهم "رحال بوبريك"، و"مصطفى ناعمي" و"أحمد الجماني"، على أن نقدم تركيبا، غير شامل، لأهم الأدبيات التي اهتمت بحاضر المنطقة من زاوية تفاعل التنظيمات المعاصرة وتكيفها اقتصاديا، سياسيا واجتماعيا حسب خصوصيات المنطقة.

أولا: جماعة «أسرير» الوادنونية التكنية

تسمح مراجعة الأدبيات ذات الصلة بمنطقة "وادنون" وكونفيديرالية "تكنا" باستحضار معطيات تاريخية واجتماعية مهمة، والنفاذ إلى خصوصية جماعة «أسرير» من حيث العلاقة بين الإنسان والمجال، وفهم التحولات التي تسربت إليها عبر التاريخ والتي ساهمت في تشكيل ملامحها البشرية والاجتماعية في الزمن الراهن.

1- جماعة «أسرير» "الواذنونية" جغرافيا وتاريخيا، "التَّكْنِيَّة" قبليًّا

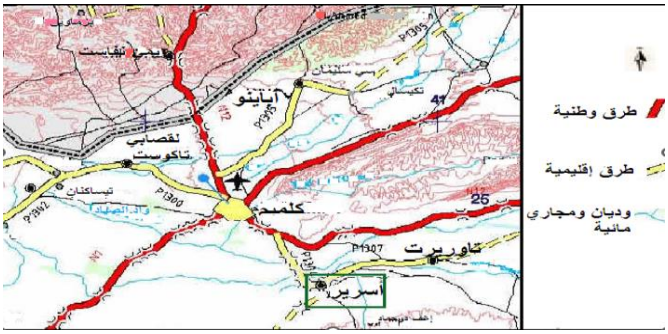
تنتمي جماعة «أسرير» إلى وادنون التي تعد واحدة من المناطق التي كانت تتمتع بشخصية تاريخية جد قوية،[2] وذلك بالنظر إلى التفاعلات الهوياتية والديناميات الاقتصادية والاجتماعية التي شهدتها. وهي تعد جغرافيًّا جزءًا من الواحات الشمالية الغربية لمنطقة وادنون باب الصحراء مع ما يعنيه ذلك من تميزها بسمات المجتمع الواحي القائم على ثنائية الماء والأرض. وإذا نظرنا إليها من جنوب المغرب، تظل هاته المنطقة الأكثر خصوبة، حيث تتوفر على المياه والأراضي والمراعي وجميع الموارد الطبيعية المرغوب فيها.[3] كما أن كونها محدودة غربا بالمحيط الأطلنتي، جعلها تغتني بمعطيات مناخية، نباتية وحتى مورفولوجية، والتي ترصدت عبر سيرورة طويلة من التحولات،[4] مما خفف من حدة تأثير المناخ الصحراوي.

[2] Joumani, Ahmed., *L'Oasis d'Asrir, Eléments d'histoire sociale de l'Oued Noun*, Collection Histoire & Sociétés du Sud marocain, Editions La Croisée des Chemins, El Maarif Al Jadida-Rabat, 2008, p.9

[3] Joumani, Ahmed., « Oued Noun, Sud Maroc, Mythes et réalités », *L'Ouest Saharien*, n°6, Paris : Editions L'Harmattan, 2006, p. 42

[4] Ibid., p. 27

خريطة1 : موقع الجماعة القروية «أسرير»- جهة كلميم وادنون[5]



بالرغم من الإكراهات المناخية التي تميز منطقة «أسرير» بحكم انتمائها إلى منطقة وسطى بين الصحراء وآخر تلال الأطلس الصغير، إلا أنها تتميز بحكم موقعها بالرطوبة النسبية لمناخها وبانبساط طبيعتها مما جعلها قبلة مفضلة للمستقرين والرحل على حد سواء، والذين نسجوا أشكالا متعددة من التحالفات بواحات المنطقة[6] بشكل يجعل أنماط العيش المختلفة تتكامل وتتواجد جنبا إلى جنب بعضها.

من الناحية التاريخية أحدثت جماعة «أسرير» على أنقاض إحدى المدن التاريخية القديمة التي اشتهرت خلال عهد الدولة المرابطية وكانت نهايتها على يد الدولة الموحدية، والتي تعرف باسم "نول لمطة".[7] لقد كانت هذه المدينة تتوفر على جميع مؤهلات وادنون الطبيعية والمناخية، وهو ما جعل منها معبرا تفضله القوافل التجارية وتتحقق عبره المبادلات الاقتصادية، فأصبحت أحد أهم المراكز التجارية،[8] ويشير "ف. دولاشابيل" إلى أن الموقع الاستراتيجي الذي احتلته قبائل لمطة ساعدها على مراقبة

[5] لبداوي، كوثر.، **الاقتصاد التعاوني في المجتمع المغربي. دراسة سوسيو-انثروبولوجية لتغير الروابط السوسيو-اقتصادية بجماعة "«أسرير»"-منطقة وادنون**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع 2019، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط. (مرقونة غير منشورة)

[6] Joumani, Ahmed., « Oued Noun, Sud Maroc, Mythes et réalités », Op. Cit., p. 39-48

[7] وزارة الداخلية، *مونوغرافية الجماعة القروية «أسرير»*، ولاية جهة كلميم وادنون، إقليم كلميم، الجماعة القروية «أسرير»، 2014، ص.2.

[8] المدن، عبد الهادي.، "التاريخ الاجتماعي لواحة تغمرت خلال القرن التاسع عشر"، **البنيات الاجتماعية والاقتصادية بالصحراء**، سلسلة دراسات صحراوية، ص. 159

المجال والمسالك التجارية العابرة لما بين "وادنون" إلى حدود "أدرار" الموريتاني.[9] وقد ساعدها ذلك على أداء وظيفة "تزطاطت"،* وعلى تحقيق التكامل بين نمطي حياة كل من المستقرين والرحل.

وتؤكد المعطيات التاريخية التي يوفرها دولاشابيل بأن بربر لمطة كانوا خلال القرن السابع يقطنون منطقة وادنون، وكانوا إلى حدود القرن التاسع من كبار الرحل، وسيصبح لهم ابتداءً من القرن العاشر مدينة بمنطقة نون (Noun) تحمل اسم نول لمطة (Noul Lamta)،[10] التي نجحت بفضل شهرتها في أن تصبح آنذاك إحدى العواصم الإفريقية التاريخية، حيث كانت سوقا إفريقية ومستودعا تتنقل عبره الخطوط التجارية الجنوبية الطويلة، والشمالية القصيرة.[11]

بالرغم من أن الأدبيات لا توفر معطيات دقيقة بشأن تاريخ تأسيس نول لمطة، إلا أن التاريخ يحتفظ بجوانب إشعاعها في الماضي والتي تمثلت في قوتها التجارية، حيث كانت بها سوق كبيرة اشتهرت بشكل خاص بالصناعات الحربية خاصة صناعة الدروع من جلد حيوان اللمط،[12] كما اشتهرت المنطقة آنذاك بتوفرها على أحد أهم معامل ضرب السكة المرابطية،[13] لكن مكانتها سرعان ما ستتراجع تاركة المجال أمام قوة "تكاوست" (Tagaost) التي تعرف حاليا بقرية القصابي والتي ستؤدي لاحقا دورا بارزا في تجارة الصحراء.[14]

---

[9] De La Chapelle, Frédéric., « Esquisse d'une histoire du Sahara Occidental », *Hesperis*, VII, 1930, p.52

*تشير تزطاطت أو الزطاطة إلى مؤسسة قبلية تقوم وظيفتها على تأمين السفر وطرق القوافل التجارية، وتنتظم حولها العديد من الأعراف. انظر:

Sebti, Abdelahad., « Ztata et sécurité du voyage, un thème de pratique judiciaire marocaine *». Hesperis Tamuda*, 1992, vol. 30, no 2, p. 37-52.

[10] De La Chapelle, Frédéric., *Les Tekna du sud marocain : Etude géographique, historique et sociologique*, présenté par : Rahal Boubrik, Collection Etudes Sahariennes, Université Mohamed V, Faculté des lettres et des sciences humaines, 2011, p. 31-32.

[11] ناعمي، مصطفى.، أهمية التجارة بالنسبة للبنية الاقتصادية والاجتماعية غرب الصحراء-بلاد تكنة (2)، **مجلة البحث العلمي**، ع 36، المعهد الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط، بدون تاريخ، ص. 224-219

[12] De La Chapelle, Frédéric., *Les Tekna du sud marocain : Etude géographique, historique et sociologique*, Op. Cit., p.33

[13] وزارة الداخلية، *مونوغرافية الجماعة القروية «أسرير»*، مرجع سابق، ص.2

[14] De La Chapelle, Frédéric., Les Tekna du sud marocain : Etude géographique, historique et sociologique, Op. Cit., p. 34

من جهة أخرى، أثرت هوية المنطقة المدروسة باعتبارها مجالا قرويا واحيا على شكل انتظام مساكنها، حيث مثل الماء المحدد الرئيس لشكل التجمعات السكنية، فقد كانت تسمح بالولوج إلى الساقية أو السكّية Seguia، حسب التسمية المحلية، وذلك بشكل تغيب معه كل حدود فاصلة بين محيط المناطق المسقية والمساكن.[15] يتعلق الأمر بتجمعات بشرية حسب خطوط النسَب، والتي كانت تجعل المنطقة تنتظم، عموما، حول ممتلكات جماعية تلتقي فيها المساكن بالأراضي الفلاحية، حيث تظل العلاقة مع الأرض مشروطة بأشكال تسيير هاته الممتلكات وضبطها،[16] مما يرجح فكرة تجانس الدوار من حيث النسب.

علاقة بمفهوم الدوار كتجمع سكني الذي قد يعتبر "حومة" أو قد يمثل تجمعا من ثلاثة منازل تعود لعائلتين، يشير "أحمد الجماني" إلى أنه يظل دخيلا، خاصة وأن استعمال الكلمة غير واضح، مما يعني بالنسبة إليه أن اللفظ جدَّ بالمنطقة مع مجيء الحماية التي فرضت تقسيما إداريا شكل فيه الدوار وحدة إدارية، والذي سيتطور استعماله تاريخيا ليصبح ذا حمولة تحيل إلى وحدة اجتماعية تؤثث المشهد القروي المغربي المركب من جماعات تدعي جدا مشتركا،[17] هو "زافاط" بجماعة «أسرير» الذي منح هويتها القبَلية اسم "أزوافيط". فما علاقة تشكل ملامح قبيلة "أزوافيط" بالاتحاد القبلي تكنا؟

2- أزوافيط والكونفدرالية القبلية تكنا

يستدعي تناول الهوية القبلية لساكنة جماعة «أسرير» القروية، استحضار أهم العناصر التاريخية والسوسيولوجية والأنثروبولوجية المتعلقة بالكونفدرالية القبلية تكنا، التي أسالت الكثير من مداد الكتابات الكولونيالية والمحلية على حد سواء.

إن استحضار هذا المعطى ليس من باب الترف المنهجي، بقدر ما هو ضرورة أملتها الحاجة إلى فهم الديناميات القبلية التي شهدتها جماعة «أسرير» على امتداد قرون من الزمن، والتي أثرت بشكل كبير في تشكل نسيج العلاقات الاجتماعية وبناء موازين القوى الهوياتية. على أن ذلك لا يعني الخوض في التفاصيل التاريخية الدقيقة بقدر ما يعني التعرض لأهم الملامح المحددة للتشكيلة البشرية لجماعة «أسرير»، خاصة من حيث علاقة الهوية القبلية لمعظم ساكنة جماعة «أسرير»، ببلاد تكنا، من خلال تفصل المستويين الميكرو-تاريخي والماكرو-تاريخي.

إن الكتابات التي تناولت بالوصف والبحث والتقصي الاتحاد القبلي "تكنا" وفيرة، غير أنها اختلطت بأعمال الرحالة والمستكشفين لقبائل وادنون والتي انطوت على أحكام القيمة واجترت صورا

[15] Joumani, Ahmed., L'Oasis d'Asrir, Eléments d'histoire sociale de l'Oued Noun, Op. Cit., p.53

[16] Ibid., p.54

[17] Ibid., p.67

نمطية عبرت عن نزعة مركزية غربية، لم يشرع الإثنوغرافيون في التخلص منها وإخضاعها للفحص النقدي إلا ابتداءً من أواسط القرن التاسع عشر، وتعد كتابات ف. دولاشابيل إحدى أهمها.[18]

يرى ف. دولاشابيل أن تكنا كونفدرالية عربية-بربرية، تضم الرحل والمستقرين بالجنوب الغربي للمغرب، ويتحدد مجال حركة قبائلها من الساقية الحمراء إلى واحات وادنون، [19] مما يجعلها غير متجانسة لغويا[20] وهجينة إثنيا. تتعايش الإثنيتان البربرية والعربية في إطار تراتبية اجتماعية ورمزية.

تجمع القبائل المشكلة لكونفدرالية تكنا بين كونها من كبار الرحل ومن كبار المستقرين، يملكون أراضي قابلة للزراعة ويرتبطون بالأرض بشكل كبير،[21] خاصة بالواحات التي أهلتها أشغال الري لإنتاج الحبوب والتبغ والنخيل والتين والرمان وأشجار الأركان والبرتقال، أما المناطق ماعدا الواحات فتظل صالحة للرعي أكثر من الزراعة،[22] ومما يعزز هذا القول ارتباط أصل تسمية وادنون في الثقافة المحلية بواد نوق، واشتهارها بأسواق كبرى خاصة بتجارة الإبل.[23]

تطورت البنيات القبلية لكونفدرالية تكنا عبر التاريخ بواسطة تعدد ديناميات الانشقاقات والتفرعات، وكذا الانصهارات والتحالفات، التي مكنتها من بلوغ شكلها الانقسامي: توازن، انشطار، انصهار، تعارض،[24] وذلك من أجل بناء استراتيجيات تقاسم الممتلكات واشتراك المصالح. وقد أخذت شكل لفين متعارضين لكنهما لا يتقاطبان بشكل حاد:[25]

---

[18] De La Chapelle, Frédéric., *Les Tekna du sud marocain : Etude géographique, historique et sociologique*, Op.Cit., p. XVII

[19] Ibid., p.p. 7-30

[20] Joumani, Ahmed., *L'Oasis d'Asrir, Eléments d'histoire sociale de l'Oued Noun*, Op. Cit., p. 48

[21] Ibid., p. 43

[22] De La Chapelle, Frédéric., *Les Tekna du sud marocain : Etude géographique, historique et sociologique*, Op.Cit., p. 10

[23] Ibid., p. 28

[24] Joumani, Ahmed., *L'Oasis d'Asrir, Eléments d'histoire sociale de l'Oued Noun*, Op. Cit., p.272

[25] يحصي مصطفى ناعمي في مقاله: "تشكل الكمفدرالية تكنة من خلال الرواية الشفوية"، خمس ترسيمات توضح مختلف المعادلات الممكنة للفي تكنا وذلك بناء على الرواية الشفوية، مما يعني خضوع بنيتها لزوايا النظر إليها: سياسيا، عسكريا، اجتماعيا، وكذا لتمثلات كل قبيلة لذاتها ولباقي القبائل المشكلة للاتحاد القبلي، والتي تؤدي فيها لعبة التورية والإخفاء وتضخيم بعض التفاصيل دورا أساسيا. على أن ما يهمنا منها هو موقع قبيلة أزوافيط داخل عملية التنافس وتحقيق توازن القوى بين لفي تكنا: ايت جمل وايت عثمان
انظر: ناعمي، مصطفى.، "تشكل الكمفدرالية تكنة من خلال الرواية الشفوية"، **مجلة البحث العلمي**، العدد 40، السنة الخامسة والعشرون، 1990-1991، المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط.

- لف ايت جمل
- لف ايت عثمان أو ايت بلة

تنتمي قبيلة "أزوافيط" إلى لف ايت عثمان، وهي تصنف كواحدة من كبرى القبائل بتكنا، فهي علاوة على مكانتها تعتبر مانحة للقيمة الرمزية للقبائل التابعة لها، وقد نجحت في المحافظة على وضعها الرمزي هذا والذي يضعها باستمرار على رأس لف ايت عثمان،[26] ويؤكد ف. دولاشابيل وجود حقيقة تاريخية مفادها وجود تفاوتات بين القبائل المشكلة لتكنا عموما،[27] ذلك أن لفي ايت الجمل وايت بلة مجموعتان قبليتان تمثلان التفاف مجموعة من صغريات القبائل حول كل من "ايت لحسن" و"أزوافيط"[28] فهذه القبائل ليست على نفس المكانة الاجتماعية والسياسية والتاريخية. ضمن هذه التراتبية تتميز القبائل الصغيرة بقلة عددها، وضعف ثرواتها (الغنم، التين الشوكي)، ومحدودية قيمة ثرواتها، وخيمها صغيرة، وملابس أهلها أكثر فقرا، وتبعيتها للقبائل الكبرى.[29]

لقد كان سكان المداشر يتنافسون من أجل التقرب من القوى الحمائية، مع ما يعنيه ذلك من التزام بدفع الأموال والمواشي كمقابل عن هاته الخدمة، كما كانوا يسارعون بإعلان طلباتهم وتقديم الذبائح للأقوى بغض النظر عن إثنيته، بربرية كانت أم عربية،[30] مما يفسر التداخل القائم بين مختلف الإثنيات وظهور تشكيلات بربرية-عربية، تتباين وتتراتب حسب أهميتها ببلاد تكنا.

إن أهم حدث يؤسس فعلا لانطلاقة اتحادية تكنا هو انتظام لفيها داخل فلك قبيلة ايت لحسن من جهة، وقبيلة أزوافيط من جهة أخرى.[31] وبالتالي فإن فعل نشأة قبيلة أزوافيط كهوية أساسية لجماعة «أسرير»، يندرج ضمن هاته الدينامية التاريخية العامة التي استغرقت وقتا طويلا، ويرجح أن تتكون المورفولوجية التي أخذتها بنيتها من الفخدات التالية: ايت احمادوعلي، أهل حايين، ايت محمد، ايت الخنوس، ايت مسعود، ايت بكو وإداولكان.[32]

---

[26] De La Chapelle, Frédéric., *Les Tekna du sud marocain : Etude géographique, historique et sociologique,* Op. Cit., p.67

[27] Ibid., p. 66

[28] ناعمي، مصطفى.، "تشكل الكمفدرالية تكنة من خلال الرواية الشفوية"، مرجع سابق، ص. 255

[29] De La Chapelle, Frédéric., *Les Tekna du sud marocain : Etude géographique, historique et sociologique,* Op. Cit., p. 66

[30] ناعمي، مصطفى.، "أهمية التجارة بالنسبة للبنية الاقتصادية والاجتماعية غرب الصحراء-بلاد تكنة" (2)، مرجع سابق، ص. 237

[31] ناعمي، مصطفى.، "تشكل الكمفدرالية تكنة من خلال الرواية الشفوية"، مرجع سابق، ص. 248

[32] De La Chapelle, Frédéric., *Les Tekna du sud marocain : Etude géographique, historique et sociologique*, Op. Cit., p. 40

ويعتبر اللسان المحلي أن "أحر الفخدات"، أي أعلاها مرتبة ورفعة، هي: "ايت محمد"، و"ايت بكو".[33] إن هاته الفخدات، أو مايسمى محليا "الفَرْقَة" لا تتمتع بنفس القيمة، حيث تتراتب فيما بينها، وقد تتأثر مكانتها السياسية داخل الواحة الواحدة، وموقعها الاجتماعي تبعا لحجمها الذي قد يزيد وقد ينقص تبعا لاستراتيجيتي المحافظة والاستقطاب.[34]

خطاطة1 :توزيع فخدات أزوافيط على القرى حسب ف. دولاشابيل

القرى الواقعة جهة واد صياد	القرى الواقعة بين وادنون ودرعة
• **دوبيان**: فخدة ايت مسعود • **تغمرت**: فخدتا ايت الخنوس، وايت احمادوعلي • **ايت بكو**: فخدة ايت بكو • **تارمكيست**: ايت الخنوس، ايت بكو • **ايت محمد**: ايت محمد • «أسرير»: ايت حماد وعلي • **واعرون**: ولاد بولحويلات، وايت حماد وعلي	• **أوزرولت**: ايت حماد وعلي • **زريويلة**: ايت حماد وعلي • **سركس**: ايت مسعود

المصدر: ف. دولاشابيل، 2011

لقد كانت "ايت مسعود" فَرقة أجنبية، كما هو الشأن بالنسبة لكل من "ايت محمد" و"إداولكان" قبل أن يندمجوا كليا مع قبيلة "أزوافيط"،[35] على أن هذا لا يعني أن جماعة «أسرير» لا تتكون إلا من قبيلة أزوافيط، فهاته وإن كانت الأهم من حيث القيمة الديمغرافية، والأقوى حربيا، إلا أنها تتعايش إلى جانب بعض فخدات قبيلة ايت ياسين.

وتعود كلمة أزوافيط (Azwafît) في اشتقاقها إلى كلمة Azwatît، أي الجماعات التي كانت تمارس وظيفة الزطاطة Ztâta، وقد وقع تحول في اللفظ بين "ازوافيط" و"أزواطيط" بسبب الاستعمال

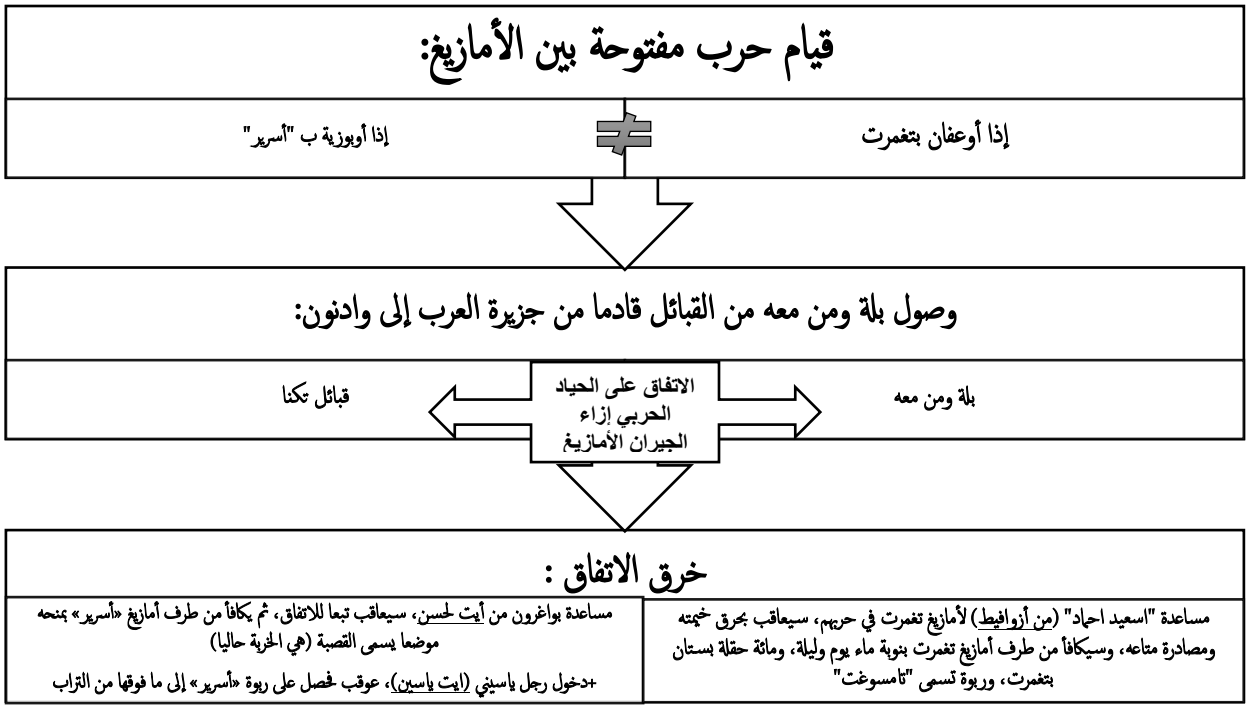
[33] المدن، عبد الهادي.، مرجع سابق، ص. 180

[34] نفسه، ص. 182

[35] De La Chapelle, Frédéric., *Les Tekna du sud marocain : Etude géographique, historique et sociologique*, Op. Cit., p. 95

الصوتي[36] الذي يميل إلى تسهيل النطق. وقد تشكلت أزوافيط كهوية قبلية من خلال ماضيها الحربي الذي أهلها للعب دور القوة المنظمة لمجال اجتماعي جل وحداته القبلية بحاجة إلى الحماية، حيث ساعد النزاع غير المتوقف بين الأمازيغ على تثبيت أقدام الأجانب المتوفرين على القوة العسكرية،[37] خاصة وأن "الزطاطة" لعبت دورا أساسيا كمؤسَّسة مؤسِّسة لأزوافيط كهوية قبلية لجماعة «أسرير». لقد كان لأزوافيط فضل كبير في حماية تجار كل قبيلة من قطاع الطرق واللصوص ذهابا وإيابا، وذلك لما كانوا يتحلون به من شجاعة وحماية للجار،[38] مما يمنح للزطاطة وظيفتها لا كإطار تنظيمي للتجارة عبر مسافات طويلة، بل كآلة اجتماعية مبتكرة تضبط ببراعة تفاصيل سيرورة الحياة الاجتماعية.[39]

خطاطة2 : دخول أزوافيط والقبائل العربية إلى جماعة «أسرير» بفضل منطق التحالف



المصدر: مصطفى ناعمي، 1991[40]

[36] Joumani, Ahmed., « *L'Oasis d'Asrir, Eléments d'histoire sociale de l'Oued Noun* », Op. Cit., p. 343

[37] ناعمي، مصطفى.، "تشكل الكمفدرالية تكنة من خلال الرواية الشفوية"، مرجع سابق، ص. 250

[38] ناعمي، مصطفى.، "تشكل الكمفدرالية تكنة من خلال الرواية الشفوية"، مرجع سابق، ص.248

[39] Geertz, Cliford., *Le souk de Sefrou. Sur l'économie du bazar*, Collection Intérieur du Maghreb, Trad : Daniel Cefai, Editions Bouchene, 2003, p. 92

[40] ناعمي، مصطفى.، " تشكل الكمفدرالية تكنة من خلال الرواية الشفوية"، مرجع سابق، ص. 249-250

إن النزعة الانقسامية تظهر هنا بوضوح، حيث تعمد الجماعات الاجتماعية إلى تبني الأجنبي من خلال الهبة العقارية بمنح قطع أرضية ونوبات الماء، كتعويض عن الخسارات واعتراف بالإعانات التي بذلها في المواجهة الجماعية لإزعاج الجيران. على أن المواقع الرمزية التي ستستتبع هاته الاستراتيجيات ستؤسس لبداية التبعية، ولولادة البرود الجماعي للأمازيغ إزاء أزوافيط نتيجة إحساسهم بالتآكل الذي لحق تراثهم جراء استيطان هؤلاء لتزابي الزوج القروي أسرير-تغمرت.[41]

يتضح إذن على امتداد مضامين هذا المحور، أن الأدبيات التاريخية والإثنوغرافية التي أنتجها الضباط ضمن الدوائر الاستعمارية الفرنسية حول منطقة وادنون وكونفدرالية تكنا أرست قاعدة أساسية للأجيال اللاحقة من الباحثين في مختلف تخصصات العلوم الاجتماعية،[42] بل إن الحاجة إلى كل هاته الأدبيات سواء منها الكولونيالية أو تلك التي أنتجها الباحثون الوطنيون مازالت قائمة حتى الوقت الحالي بالنسبة للجيل الجديد من الباحثين المتخصصين.

ثانيا: واحة «أسرير» في ضوء التاريخ الاجتماعي المجهري لأحمد الجماني

إن الدراسات التي أنجزت حول منطقة "وادنون" و"كونفدرالية تكنا" لا تشير إلى جماعة «أسرير» إلا بشكل محتشم، كما أنها تنتمي في الغالب إلى مجال التاريخ العام، ولا توفر معطيات أنثروبولوجية عن "قبيلة أزوافيط" أو قرى "جماعة «أسرير»" إلا في حالات نادرة. وهذا ما يضمن للأدبيات التي أنتجها "أحمد الجماني" حول واحة «أسرير» في مجال التاريخ المجهري قيمتها النظرية والعلمية والتاريخية.

صحيح إن العديد من الباحثين قد قاموا بدراسة المنطقة من حيث موقعها ضمن "وادنون"، من حيث كونها جزء مهما من "كونفدرالية تكنا"، ومن حيث هي حاملة لخصائص "المجتمع القبلي" ومن حيث هي جزء من "مجتمع البيضان"، غير أن الجماني بالرغم من كونه امتدادا لهم، إلا أنه قدم تقصيا مكثفا وبحثا معمقا في التاريخ الاجتماعي لواحة «أسرير». إنه امتداد لكل من درس الجنوب الغربي للمغرب: دولاشابيل، ومونتي Monteil، وباروخا Baroja، وناعمي، ورحال بوبريك،[43] وغيرهم، فقد قدم تركيبا لمعظم كتاباتهم التي تناولت مجال وادنون، كما تجاوز بعضها الآخر من خلال العديد من المراجعات النقدية.

---

[41] Joumani, Ahmed., *L'Oasis d'Asrir, Eléments d'histoire sociale de l'Oued Noun*, Op. Cit., p. 277-282

[42] فائز، عبد الحميد.، "الكتابات التاريخية في مواضيع الغرب الصحراوي"، ضمن **مجلة المناهل**، مطبعة دار المناهل، العدد، 99، 2020.

[43] Joumani, Ahmed., *L'Oasis d'Asrir, Eléments d'histoire sociale de l'Oued Noun*, Op. Cit., p. 9

1- التاريخ الاجتماعي المجهري كمنظور مكثف للروابط الاجتماعية.

تندرج دراسة "أحمد الجماني" لواحة "«أسرير»" ضمن التاريخ الاجتماعي المجهري، الذي يعتبر منهجية تفكرية "من الأسفل" لاستخلاص محددات الروابط الجدلية بين المجال القروي والبنية القبلية للواحة.[44] وقد أثار "ك.غيرتز" الانتباه إلى أهمية هذا النوع من الدراسات التي تقدم تاريخا منظورا إليه من الأسفل تتداخل فيه عدة أركان: الاقتصادي، الشبكات الاجتماعية، والبرامج الثقافية،[45] لكونه يسهل عمل الأنثروبولوجي ويجعل التاريخ والأنثروبولوجيا يقتاتان من ثمار بعضهما البعض.

إن انتباه "أحمد الجماني" من داخل موقعه كمؤرخ إلى أهمية هذا النوع من المقاربات يقوي منجزه العلمي، خاصة وأن السياق المعرفي الحالي في مجال علم التاريخ صار ينزع إلى التركيز على التاريخ الاجتماعي في مقابل التاريخ السياسي، من خلال الاهتمام بتاريخ العائلة، العقليات، الجنس، إلخ.، وهو ما يمنح للموضوعات التاريخية لونا وجوديا، يجعلها أكثر انفتاحا على الأحداث الصغرى الحاملة للدلالة.[46]

يسمح اتساع المجال الذي يدرسه مؤلف أحمد الجماني حول واحة «أسرير»، بفهم العلاقة بين "الميكرو-تاريخي اجتماعي" والماكرو-تاريخي اجتماعي" خاصة عندما يربط الهوية المحلية بالتراب واللف في شساعتها، ويدبر فقر الأرشيف المحلي، بالاعتماد على وفرة الوثائق المتعلقة ببلاد تكنا وأرض وادنون.

إن اختيار المقاربة الميكرو-تاريخية اجتماعية يستجيب للمطلب الذي نبه الفيلسوف الألماني "ف. دلتاي" (W. Dilthey) إلى أهميته والمتعلق بمحاولة فهم التاريخ من الداخل، وذلك بالانطلاق من النظر إلى كل معنى وكل قيمة وكل هدف في العالم التاريخي، بوصفها جميعها متجذرة في تجربة الموجودات الإنسانية الفردية التي عاشت زمانا معينا وظروفا محددة،[47] مما يجعل اختيار منهج السيرة من أجل بناء التاريخ الاجتماعي المصغر للمنطقة ذا قيمة منهجية بالغة.

على مستوى المنهج، يجمع "أ. الجماني" بين استنطاق أرشيف الوثائق المتعلقة بالذاكرة المحلية، وبين تتبع المصير الفردي من خلال اعتماده على منهج "سيرة الحياة" في دراسته لعائلات اشتهرت

---

[44] فائز، عبد الحميد.، "الكتابات التاريخية في مواضيع الغرب الصحراوي"، ضمن **مجلة المناهل**، مطبعة دار المناهل، العدد، 99، 2020، ص. 120

[45] Geertz, Cliford., Op. Cit., p. 31

[46] الهراس، المختار.، "منهج السيرة في السوسيولوجيا"، **إشكاليات المنهاج في الفكر العربي والعلوم الإنسانية**، دار توبقال للنشر، 1987، ص. 88

[47] سيد أحمد، محمود.، **فلسفة الحياة، دلتاي نموذجا**، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2005، ص. 85

بتعطشها للتجارة وباستغلالها لفترات الأزمات الدورية من أجل إنعاش ممتلكاتها العقارية، مما سمح ببناء معرفة دقيقة حول استراتيجيات الأعيان ومنطق شرعنة التراب.[48]

ينتصر "أ.الجماني" للفهم المادي لتاريخ المنطقة، فظاهرة اللفوفية، والتعايش بالقرية بين إثنيات مختلفة، ووضعية الحراطين، جميعها قضايا رجحت فيها كفة المصالح المادية على الفهم الذي ينتصر لتناقض الأوضاع الرمزية كصراع الهويات مثلا. لقد اعتبر المؤرخ في السياق ذاته، أن التعايش بالقرية لا يحتاج إلى تجانس أساليب الحياة بين مختلف الجماعات المنتمية إليها، بقدر ما يحتاج تقاسما للممتلكات واشتراكا للمصالح، فهذان الأخيران هما المحددان للإحساس بتكوين كيان مميز،[49] وهما اللذان يساهمان في تهدئة المنطقة وتحقُّق التساكن بين تشكيلات هوياتية متعددة.

لقد رجح "أ.الجماني" كفة تكامل المصالح المادية حتى في فهم الوضعية الاجتماعية للحراطين، على حساب الطرح الذي يقوم على الانتصار لتناقض الأوضاع الرمزية، وذلك بالرغم من التحول الجذري اللاحق في وضعيتهم الاقتصادية بمنطقة «أسرير» من مالكي أرض وأصحاب عقارات إلى "خمَّاسة" مفلسين اقتصاديا ورمزيا.[50]

من حيث علاقة الفرد بالبنية، يصور الباحث الذوات المبحوثة لا ككائنات مستلبة من طرف البنية الاجتماعية، بل كفاعلين. وهو بهذا يجعلهم ينفلتون من الخطاطات التبسيطية التي تجعلهم مسلوبي الإرادة، ومجرد نقطة داخل شبكة من العلاقات تحبكها المصالح المادية والرهانات السياسية. في هذا السياق حذر "أ.الجماني" من تعميم مقولات التضامن ومن النظر إلى القرابة ككل متماسك، معتبرا أن هاته البنيات تنطوي على تطلعات فردية قد تجعل المصلحة العليا في موقع ثانوي.[51] وبالتالي، فإن تحليل المؤرخ لجدلية الفردي والقرابي تعتبر مدخلا لرفض مقولة خضوع الفرد لإشراطات القرابة والبنية واختزال وظيفته في اعتباره وسيلة توظفها الضرورة الاجتماعية ومصالح الجماعة.

تعد المقاربة العلمية التي تبناها أحمد الجماني لتحليل الروابط الاجتماعية بواحة «أسرير»، إذن، في غاية الأهمية لجمهور الباحثين المهتمين بالمنطقة من زاوية العلوم الاجتماعية. ويرجع تميزها إلى جدتها، والمناهج المستعملة فيها والدقة البالغة في إعدادها وغنى المقاربات النظرية التي تتبناها. مما يجعلها أرضية علمية يرجع إليها أي عمل أنثروبولوجي ينجز حول منطقة «أسرير».

---

[48] Joumani, Ahmed., *L'Oasis d'Asrir, Eléments d'histoire sociale de l'Oued Noun*, Op. Cit., p. 13-120

[49] Ibid., p. 271

[50] Ibid., p. 126

[51] Ibid., p. 292

2- الديناميات الانقسامية في صلب التاريخ الاجتماعي لواحة "«أسرير»"

يقدم "أحمد الجماني" جماعة «أسرير» باعتبارها أرخبيلا قرويا، ويدرسها في علاقتها بالتراب القبلي والتجمعات النسَبية. وقد وظف من الناحية النظرية عدة أنساق نظرية سوسيو-تاريخية وأنثروبولوجية ومنهجية توازن بين البنية والفاعل والسياق، من أجل فهم دقيق لمجتمع الواحة: الانقسامية، البنيوية، الفردانية المنهجية، سوسيولوجيا التنظيمات وتحليل دور الفاعل.

من أجل إعادة بناء النسيج الاجتماعي للمنطقة، اختار المؤرخ تسليط العدسة المكبرة على تاريخها والاحتفاظ بغنى الواقع وتشعبه، مستحضرا قضايا متعددة من أجل بناء فهم علمي لسيرورة تشكل البنيات الهوياتية المكونة للمنطقة، كالهجرة، واستراتيجيات التحالف والانتماء، وسوق العقار والملكية، وسوق الزواج، والقدر الفردي، والكوارث البيئية وأزمات العيش، إلخ. لقد تجاوز الباحث بذلك الخطاطات الاختزالية لحياة الجماعة، واستحضر خطاطة زمنية تستدمج الجماعي والفردي، أي الديناميات الجماعية والأقدار الفردية.

وإذا كان "أحمد الجماني" يتبنى النظرية الانقسامية ويجعلها تخترق بعمق فهمه للتاريخ الاجتماعي للمنطقة، فإنه ينتقد تركيز الانقساميين على المظهر السياسي للتكتلات النَّسَبية، باعتبار المجتمعات المعنية هي مجتمعات بدون دول، فهو يعتبر أن معظم الأدبيات التي تبنتها، أهملت المظهر الاجتماعي للانقسام ودوره الرئيس في الحفاظ على الروابط الاجتماعية.[52] وهذا يعني أن "أ.الجماني" يتبنى النظرية الانقسامية في تحليله للخطاطات والاستراتيجيات الانقسامية المحسوبة والتي لا تهدأ ولا تتوقف، إلا أنه يوجه النقد لمظاهر قصورها ويراجع بعض أسسها النظرية، وإهمالها لجوانب متعددة من الحياة الاجتماعية.

وبالرغم من أن الانقساميين قادرون على استجلاء بعض خصائص البنيات القبلية ووصف أهم دينامياتها، إلا أن إلغاءهم للتاريخ واجتثاثهم للنسق القبلي من سياق السيرورات التاريخية، جعل تصورهم للموضوعات الاجتماعية تعسفيا. لذا فإن المؤرخ عندما يضع النسق القبلي في إطار التنقلات السكانية والتحول الديمغرافي أو تغير الخطوط التجارية، أو يطرحه في سياق التحالف والصراع مع قوى خارجية، يكون قد نجح في تجاوز واحدة من أكبر ثغرات النظرية الانقسامية.[53]

---

[52] Joumani, Ahmed., *L'Oasis d'Asrir, Eléments d'histoire sociale de l'Oued Noun*, Op. Cit., p. 292

[53] الهراس، المختار.، "التحليل الانقسامي للبنيات الاجتماعية في المغرب العربي: حصيلة نقدية"، **مجلة المستقبل العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1985، ص. 110- 111

لقد تطورت البنيات القبلية لوادنون عموما من خلال انشقاقها وتفرعها إلى حين بلوغ شكلها الانقسامي: توازن، فانشطار، فانصهار، فتعارض، وهكذا.[54] بل وحتى التوازن ما بين الفخدات خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر لن يتحقق إلا من خلال الانقسامية القائمة على هذا المبدأ.[55] وقد أقر "أحمد الجماني" في هذا السياق، بأن المجتمع المدروس يتحدد بكونه مجتمعا انقساميا، فالتوزيع الجغرافي والقرى في تطور تكونها لا تتجانس بالضرورة من حيث خطوط النسب.[56] وتظل اللغة المحلية من أهم حوامل آثار هذا الانقسام، وتظهر من خلال تعقب الباحث لأسماء الأماكن والمواقع وتسميات "نوبات" الماء وألفاظ "بني العم" و"أولاد العم" و"ايت" باعتبارها مؤشرات تدل على طبيعة القرابات والتحالفات، بل وحتى الفراغات الجنيالوجية.[57] إن القاعدة الانقسامية وإن كانت غير مطلقة، ومخترقة بالاستثناءات، فإن المجال، والمصالح، والذاكرة، واللغة، والعنف، والعقود المبرَمة، كانت تخضع كلها للمنطق الانقسامي، وتسعى إلى تحقيق التقاربات والانصهار في إطار قرابات غير حقيقية.

يسمح رصد حركة الهجرة بتقديم فهم لسيرورة تشكل قرى وادنون، حيث أبرز "أحمد الجماني" من خلال وثائق محلية أن تتبع تيارات التحركات النسَبية يكشف أن التشعب القبلي سيشرع في النمو بعد القرن الثامن عشر: فبينما كانت الوثائق القديمة تسمي ساكنة «أسرير» أهل «أسرير»، سنشرع ابتداء من القرن التاسع عشر في العثور على تسرب المرجعية النسَبية الانقسامية إليها بدء من العائلة، القبيلة ثم المكان.[58] وهذا ما سيُخضع لحمة الاستيطان البشري للجنيالوجيا والمنطق الانقسامي.

على مستوى آخر، تظهر هاته النزعة الانقسامية في أشكال تبني الجماعة للأجانب، إذ على أساسها تمنح القطع الأرضية ونوبات الماء. إن انصهار الأجنبي داخل الجماعة وإقحامه فيها يسبقه الانشطار غالبا، وذلك نتيجة علاقة عداوة مع الجيران، وهذا يتم عبر سيرورة بطيئة يحكمها تداخل المصالح، مما يفضي إلى تشكل ذاكرة جماعية محلية[59] تمتزج فيها الإثنيتان: الأمازيغية باعتبارها الإثنية الأصلية، والعربية باعتبارها الإثنية الوافدة على المنطقة. وقد قدم المؤرخ في هذا الإطار، معطيات هامة بشأن الوضع الرمزي الذي تحتله كل إثنية على حدة داخل المنطقة، فكيف سيهيمن العرب على المشهد الاجتماعي والاقتصادي والسياسي بالمنطقة؟

[54] Joumani, Ahmed., *L'Oasis d'Asrir, Eléments d'histoire sociale de l'Oued Noun*, Op. Cit., p. 272

[55] Ibid., p. 137

[56] Ibid., p. 70

[57] Joumani, Ahmed., *L'Oasis d'Asrir, Eléments d'histoire sociale de l'Oued Noun*, Op. Cit., p. 124-145-386

[58] Ibid., p. 68-69

[59] Ibid., p. 270

لقد تعرضت الساكنة الأصلية الأمازيغية للتنحية الرمزية وذلك عبر استراتيجية تقوم على فرض تراتبية عَقَدية تنسب فيها الرفعة للإسلام وبالتالي للعروبة على حساب كل من المسيحية والوثنية، مع ما يستتبع ذلك من جعل الأمازيغ أسفل التراتبية. وهو ما يجعل الذاكرة المحلية تبنى على رسم الحدود وإرساء مناطق النبذ، على نحو سيرسم ملامح وضعية الأمازيغ الذين سيتعرضون للوصم بسبب ماضيهم المسيحي: وهكذا سيطال الوصمُ ذاكرتَهم ووضعهم داخل الهرم التراتبي. وبهذا فإن الباحث يصور ذاكرة المنطقة، من خلال تقاطب قائم على ثنائية: الإسلام من جهة أولى وأرفع، ثم المسيحية، اليهودية، الوثنية، الزنوج من جهة ثانية وأدنى، مشيرا إلى لجوء بعض الفخدات إلى استراتيجية الترقيع الجنيالوجي من أجل الاندماج ضمن تمثل مهيمن يمنح الرفعة للأصل العربي،[60] وتبني استراتيجيات زواجية كمظهر رمزي بارز للتراتب من خلال النظر إلى الأمازيغ باعتبارهم حدا زواجيا.[61]

إن الفهم الذي يقدمه "أحمد الجماني" لانصهار الأمازيغ داخل القسمات النسَبية الوافدة يبدو في تقديره غير كاف، ففي الوقت الذي يقدمهم كخاضعين لوافد جديد سلبهم أرضهم ونساءهم وجردهم من ذاكرتهم؛ فإنه يقدم معطيات تشكك في ارتباط استدماج انتقاص الذات الأمازيغية لذاتها بما هو ديني، مضيفا، إلى جانب ذلك، أنه مرتبط بالإحساس بالضعف إزاء قوة عسكرية اجتاحت المنطقة وأخضعتها عسكريا قبل أن تخضعها ثقافيا. وبالتالي فإنه يستحضر لاحقا القوة كمحدد رئيس لهذه العلاقات الاجتماعية لكونه يتفوق انقساميا على باقي المحددات، ويحظى بالقيمة المركزية في تحديد تراتبية الجماعات.[62] وبالتالي فإن قرى أزوافيط تشكل المجال وتعيد تركيبه وتمنحه معنى.

ثالثا: أثر الروابط القبلية والعائلية على ديناميات التنمية المحلية بجماعة «أسرير»

من الصعب تحليل ديناميات الروابط الاجتماعية الراهنة بجماعة «أسرير» دون إثارة مفهوم القبيلة، الذي وإن كان قد بلغ مرحلة التشبع النظري فإن أشكال استمراره على مستوى ممارسات الأفراد والجماعات، وحتى على مستوى التصورات والتطلعات،[63] تجعل زمن القبيلة مستمرا، بشكل يدعو إلى مزيد من التقصي بشأن مظاهر حضورها بالتنظيمات الاجتماعية الحديثة. فكيف تؤثر هذه الروابط على التنمية المحلية بجماعة «أسرير» خاصة على مستوى الديناميات الجندرية وتدبير الفعل العمومي المرتبطين بها؟

---

[60] Ibid., p. 83-85

[61] Ibid., p. 172

[62] Ibid., p. 352

[63] نستحضر هنا ما ورد على لسان أحد المستجوبين الشباب من أبناء المنطقة من حنينهم إلى مجلس ايت أربعين، وعزمهم العمل على محاولة إعادة إحيائها بالنظر إلى الأدوار الأساسية التي كان يقوم بها في الماضي.
انظر: لبداوي، كوثر.، الاقتصاد التعاوني في المجتمع المغربي. دراسة سوسيو-انثروبولوجية لتغير الروابط السوسيو-اقتصادية بجماعة "«أسرير»"-منطقة وادنون، مرجع سابق.

1- التنمية المحلية عن طريق التعاونيات وديناميات الروابط الجندرية

إذا كانت الصورة التي ترسمها الأنثروبولوجيا عموما للمرأة هي أنها مستلبة كليا من طرف بنيات قبلية أو أخوية[64] معممة بذلك هذا الوضع على جميع النساء دون استحضار لوضعيات فردية أو خاصة، فإن" أ.الجماني" يؤكد أن وضعية المرأة تتناقض بين خضوعها للبنية وإفلاتها من إشراطاتها. إنه يتصور الأفراد ضمن الجماعة تارة خاضعين للبنية، وتارة كفاعلين يمتلكون قدرا من حرية الفعل، ويستطيعون أن يتحرروا من الجماعة ومن إشراطات روابط الدم والقرابة لصناعة أقدار فردية.[65]

يعتبر "أ.الجماني" النساء جزء من الهبة الزواجية، التي تعتبر، تماما مثل الهبة العقارية، من أهم أسس بنية التبادل التي تتأسس عليها الروابط بين الجماعات.[66] إلا أنه يدعو إلى التمييز بين وضعية المرأة زوجةً وأمًّا: فإذا كانت الوضعية الأولى تجعلها وسيلة في يد لعبة التحالفات الزواجية، فإن دور الأمومة يجعل وضعية الثانية ذات أهمية بالغة.[67]

إن الباحث هنا يحذر من الوقوع في فخ الخطاطات النمطية التي تبسط فهم وضعية المرأة وتحشرها في خانات ضيقة تربط وظيفتها الأساسية بإعادة الإنتاج، بل وتجعل وضعية جميع النساء متجانسة دون أن تستحضر الفئات الفرعية التي قد تتناقض أوضاعها ومواقعها الاجتماعية داخل الأسرة.

غير أن الدراسات المتأخرة التي اشتغلت بالتحليل على إعادة إنتاج الروابط القبلية والعائلية ضمن التنظيمات الاقتصادية الحديثة، تضع هذه الخلاصات بشأن وضعية النساء بالمنطقة موضع تساؤل. فهي تكشف أن السلطة التي تتمتع بها النساء في حضور فئة الرجال من نفس عائلتها تظل محدودة وأن مكانتها الرمزية تظل ثانوية.[68]

لقد أسلفنا من خلال الأدبيات السابقة، أن جماعة «أسرير» تتحدد باعتبارها مجتمعا قبليا، ولعل دراسة التحولات التي مست بنياتها السوسيو-اقتصادية من خلال الاقتصاد الاجتماعي كاقتصاد

---

[64] Dialmy, Abdessamad., *Le féminisme au Maroc*. Les Editions Toubkal, 2008, p. 21

[65] Ahmed Joumani, *L'Oasis d'Asrir, Eléments d'histoire sociale de l'Oued Noun*, Op. Cit., p. 292

[66] Ibid., p. 279-169

[67] Ibid., p. 185-186

[68] انظر: لبداوي، كوثر.، الاقتصاد التعاوني في المجتمع المغربي. دراسة سوسيو-انثروبولوجية لتغير الروابط السوسيو-اقتصادية بجماعة "«أسرير»"-*منطقة وادنون*، مرجع سابق.

ناشئ تؤكد استمرار تمفصل القبيلة مع العديد من الحقول: الاقتصادي، والاجتماعي، والثقافي. تخضع دينامية التنمية المحلية بجماعة «أسرير» للتمثلات الاجتماعية المحلية للعمل، الاستهلاك والإنفاق، وكذا للطقوس والمعتقدات المحلية المتجذرة بها. كما تخضع لاستراتيجيات قرابية وتحالفات عائلية وتحكمها أطر جندرية تكشف استمرار الروابط والتراتبات القائمة محليا بين الأفراد والفئات الاجتماعية.[69]

وبالفعل، فبالرغم من أن النساء بجماعة «أسرير» نجحن نسبيا في تجاوز الوضعية الثانوية مقارنة بفئة الرجال، إلا أنهن ما زلن يقبعن تحت تأثير المنظومة البطريركية، وما زال تمكينهن يتأثر بالإيتوس الثقافي المحلي.[70] لقد بينت الدراسات الأمبريقية المتأخرة استمرار هيمنة فئة الرجال بالعديد من التنظيمات الحديثة بجماعة «أسرير»، وذلك بالرغم من التحولات التي طرأت على وضعية النساء والتي تمثلت في خروجهن للمجال العام وانخراطهن ضمن الدينامية المحلية للمشاريع المدرة للدخل.[71]

وإذا كنا قد أسلفنا سابقا أن جماعة «أسرير» تأخذ عموما طابعا قبليا، فإن الدراسة السوسيوأنثروبولوجية للمشاريع المدرة للدخل، كشفت نزوعا جماعيا نحو بنائها على أساس عائلي بالأساس. كما أبرزت صعوبات ولوج النساء إلى مواقع القيادة ضمن التعاونيات العائلية المختلطة بين الجنسين، وذلك بسبب كونها في أغلب الحالات تعاونيات عائلية يتم فيها إعادة إنتاج التراتبات الاجتماعية. إن النساء وإن كن يشاركن على مستوى التنظيم الرسمي بشكل مهم في مجالس الإدارة، إلا أنهن يغبن أو لا يحضرن إلا بشكل محتشم ضمن القيادة الفعلية، حيث يكتفين بمواقع ثانوية مقارنة بالزوج، الأخ، الأب أو الابن. ولا تتاح للنساء فرص تولي مواقع القيادة الفعلية إلا عندما يتواجدن ضمن التعاونيات النسائية غير العائلية التي تحميهن من هيمنة فئتي الرجال وكبار السن.[72]

يؤثر السياق السوسيوثقافي وتنظيمه للمواقع التراتبية بين الأفراد والجماعات في سيرورة التنمية المحلية والتنظيمات الاقتصادية الحديثة. وهو ما يعيد إنتاج المواقع الأصلية في التنظيم الاجتماعي ضمن هاته التنظيمات ويجعل، بالتالي، النساء خارج مواقع القيادة. وهذا يدعو للقول إن النشاط التعاوني العائلي لم يفلح في مساءلة العلاقات الاجتماعية التقليدية بين الجنسين، حيث تستمر البنية العائلية

---

[69] لبداوي، كوثر.، *الاقتصاد التعاوني في المجتمع المغربي. دراسة سوسيو-انثروبولوجية لتغير الروابط السوسيو-اقتصادية بجماعة "«أسرير»"-منطقة وادنون*، مرجع سابق.

[70] Lebdaoui, Hind., Lebdaoui, Kawtar., « Paving the Road to Women Empowerment ». *Women's Leadership : Connecting Points between Morocco & Finland,* Roumate, Fatima., AFAK Foundation, Maroc, 2019, 43-58, p. 43-51

[71] لبداوي، كوثر.، "التحول السوسيو-اقتصادي لوضعية المرأة المغربية أنثروبولوجيا المجال التعاوني بالمغرب الصحراوي مدخلا"، **مجلة العلوم الاجتماعية**، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، العدد 7، 2018، ص. 312

[72] Lebdaoui, Kawtar., Les femmes face aux difficultés d'accès au leadership local à Asrir (Maroc). *Alternatives Rurales,* 2021, vol. 8, 19-30, p23-29

بجماعة «أسرير» في ممارسة وظيفتها المحافظة ومقاومة ديناميات التغير، خاصة على مستوى علاقات الجندر.[73]

2- الاستعمالات السياسية والانتخابية المحلية للاقتصاد الاجتماعي

توصف جماعة «أسرير»، مثل باقي المناطق بالمغرب، عموما بأنها تنتظم حول علاقات عائلية وعصبية، بحيث تكون القبيلة أو الاتحاد القبلي هما التنظيم الذي تندرج ضمنه الجماعات العائلية، والانقسامية هي المبدأ الذي تخضع له بنيتها الاجتماعية. إلا أن انكماش الروابط القبلية حاليا، لا ينفي استمرار تعبئتها من أجل التعبير عن رهانات جديدة، مما يؤكد راهنية مفهوم القبيلة بالمغرب المعاصر.[74] لقد أعادت المعرفة العلمية التي حملها الجيل الجديد من الباحثين التفكير في مفهوم القبيلة ومساءلتها باستعمال أدوات العلوم الاجتماعية.[75]

ضمن هذا الإطار، تمت مساءلة الاستعمالات السياسية والانتخابية للتنظيمات الحديثة باسم القبيلة والروابط العائلية بمعناها الواسع بجماعة «أسرير». ويتجسد هذا المتصل في اتخاذ التعاونيات التي تم إحداثها مع إطلاق المبادرة الوطنية للتنمية البشرية سنة 2005 شكلا عائليا وقبليا وذلك بنسبة 81%،[76] كما يتجسد من خلال إشارة الساكنة المحلية لهاته التعاونيات بأسماء القبائل: "تعاونية المسعوديين" نسبة إلى قبيلة آيت مسعود، "تعاونية أهل مبارك وسعيد"، إلخ. ويمثل تشكيل التعاونية بناء على روابط الدم أو المصاهرة أو الانتماء القبلي، استراتيجية للاستفادة من الموارد وشبكات العلاقات التي تتوفر العائلات عليها.[77]

إن الفرد بهذا المعنى ليس مستقلا بشكل تام عن النواة العائلية الصغرى، وهاته الأخيرة بدورها ليست معزولة، واستمرارها يظل متوقفا على خضوع اختياراتها لشبكة اجتماعية مركبة.[78] إن

---

[73] Ibid., p. 28

[74] Tozy, Mohamed., Lakhsassi, Abderrahmane., « Le Maroc des tribus : Mythe et réalité », Hosham Dawod (Dir), *Tribu et pouvoirs en terre d'Islam*, Armand Colin, Paris, 2004, p. 169- 171

[75] Bendella, Ahmed., « Une catégorie juridique pour gouverner la question du social », Béatrice Hibou, Irene Bono (Dir), *Le gouvernement du social*, Recherches internationales, KARTHALA, Paris, 2016, p. 292

[76] Lebdaoui, Kawtar., « Les femmes face aux difficultés d'accès au leadership local à Asrir (Maroc) », Op. Cit., p.23

[77] Lebdaoui, Kawtar., Liens familiaux au cœur des coopératives agricoles au Maroc: quels impacts?, *Alternatives rurales*, Vol. 9, 2022, p. 32

[78] Ahmed Joumani, *L'oasis Asrir, Eléments d'histoire de l'Oued Noun*, Op. Cit., p. 182

القبيلة وإن لم تعد قائمة كمؤسسة وكتنظيم اجتماعي، إلا أنها ما زالت تتحين فرص الظهور خلال التوترات السياسية والصراعات الحزبية، التي تعيد إحياء الصراعات القديمة حول الماء، الأرض والسلطة، خاصة على مستوى "الفخدات" باعتبارها مستويات قبلية فرعية دنيا. بل إن بعض مظاهرها تجسدت ضمن الديناميات المحلية للعديد من التعاونيات وفسيفساء العلاقات بينها.[79]

وما زال ماضي العلاقات والصراعات القبلية قائما يغذي الزبونية الانتخابية بالمنطقة ويشكل المشهد العام للتنمية المحلية، حيث يقسم تنظيمات الاقتصاد الاجتماعي مثلا تبعا للتقاطبات السياسية المحلية ويجعلها جزء من سيرورة تعبئة معقدة ممتدة في الزمان، يتمفصل فيها الجنيالوجي، السياسي، الانتخابي، الاقتصادي، إلخ.[80] حيث يجعل التواطؤ بين الفاعلين السياسيين، بني عمومتهم وزبنائهم الانتخابيين، صناعة التنمية المحلية محكومة بتقسيم الأفراد والجماعات إلى زبناء مستفيدين وآخرين ضحايا محرومين. وهو ما يؤكد أن القرابة بمعنييها الحقيقي والوهمي، الضيق والواسع، ما زالت مبدأ محددا للروابط الاجتماعية بالمنطقة، لا خارج التنظيمات الحديثة بل وحتى داخلها.[81]

بالرغم من أن المشاريع السياحية المحلية تعمل بشكل غير مباشر على دعم التعاونيات من خلال خلق قنوات للتسويق لدى الزبناء المغاربة والأجانب،[82] إلا أن تبعية السيرورة المعقدة للتنمية المحلية عن طريق الاقتصاد الاجتماعي للجماعات القرابية للفاعلين، للمنتخبين المحليين، وبالتالي، للتدبير الزبوني للدعم العمومي، ينتج عنها ارتفاع عدد التعاونيات العائلية والتعاونيات الشكلية التي توجد على الأوراق دون أن يكون لها أثر على الصناعة الفعلية للتغير الاجتماعي المنشود.

على سبيل الختم

لا ندعي ضمن هذه الورقة إرساء خطاطة كرونولوجية مفصلة لمجمل الدراسات التي أنجزت حول مجتمع وادنون عموما، وجماعة "أسرير" بشكل خاص، بقدر ما ركزنا هدفنا على عنصرين اثنين: أهمية كل من الدراسات الكولونيالية والأدبيات التي أنتجت ضمن العلوم الاجتماعية الوطنية حول جماعة «أسرير»، التي لم يتسع المجال لإحصائها كاملة، ثم توضيح أهميتها بالنسبة للأبحاث التي تشتغل اليوم على مجتمع ما زالت تؤثر فيه البنيات الاجتماعية والثقافية التقليدية على حاضر الديناميات التنموية ومختلف أساليب صناعتها جنوب المغرب.

---

[79] Lebdaoui, Kawtar., Liens familiaux au cœur des coopératives agricoles au Maroc: quels impacts?, Op. Cit., p. 33

[80] Ibid., p. 35

[81] Ibid., p. 36-37

[82] بوست، محمد.، "المشاريع السياحية والتنمية المحلية بالمجالات الواحية. واحتي «أسرير»-تغمرت"، **مجلة جيل للعلوم الإنسانية والاجتماعية**، ع. 22، يوليو 2016، مركز جيل للبحث العلمي.

تتجلى قيمة الأعمال المتأخرة حول المنطقة في تبنيها لمقاربة موضوعية ونقدية وإفلاتها من الخلفية الاستعمارية التي اخترقت نظيرتها التي أنتجت ضمن سياقات تختلط فيها الذاتية بنظرة استعلائية للمجتمعات المستعمَرة. لذا تحرينا أخذ هذه الأدبيات بحذر وحاولنا انتقاء بعض عناصر فهم ماضي المنطقة والعلاقات الاجتماعية بها، لمواجهة ندرة الأدبيات ذات الصلة، لاسيما قبل نضج العلوم الاجتماعية الوطنية وتوسلها بالأرشيفات المحلية والدراسات الميدانية المكثفة والموسعة، الكيفية والكمية.

لقد تبين لنا بناء على الأدبيات التي تم استحضارها، أن جماعة «أسرير» وعاء مجالي وبشري ذو خصوصيات تاريخية وهوياتية خصبة، وأن التركيبة القبلية بها تعرضت لمجموعة من التحولات، أدت إلى تفكك بعض بنياتها واستمرار البعض الآخر. فإذا كانت قد كفت عن أن تكون تنظيما فعليا يحكم الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للمجتمع، فقد استمرت مندسة داخل العديد من تفاصيل الحياة الاجتماعية، وضمن التنظيمات التقليدية والحديثة على حد سواء. وبالتالي فإن سيرورة التركيب التي تحكم عملية التغير الاجتماعي بالمنطقة، تجعل اللاحق يحمل في طياته عناصر السابق دون أن يكون صورة طبق الأصل عنه، ذلك أن بقايا البنيات التقليدية تظل حاضرة في الزمن الراهن بأشكال عديدة داخل مختلف التنظيمات الاجتماعية، والتمثلات التي يحملها الأفراد ومعيشهم الاجتماعي اليومي.

يمكن القول إذن، إن الأدبيات التي تناولت من منظور العلوم الاجتماعية ماضي وحاضر كل من منطقة وادنون والاتحاد القبلي تكنا وقرى جماعة «أسرير»، تتمتع بأهمية بالغة بالنسبة للجيل الحالي من الباحثين الذين يسعون إلى فهم الزمن الراهن للجماعة القروية «أسرير» التي مازالت تشهد ديناميات تنموية موسعة وخلقا مهما لتنظيمات الاقتصاد الاجتماعي وغيرها من التنظيمات الحديثة، بل وتداخلا قويا بين البنى الاجتماعية التقليدية والبنى العصرية التي انبثقت مع إطلاق دينامية تنموية جديدة مطلع الألفية الثالثة. ومن شأن المقاربة النقدية لنجاح وتعثر العديد منها، توفير إضاءات مهمة بشأن أجرأة مداخل التغيير المأمولة والتي تأخذ في حسبانها الانطلاق من القاعدة ومن الخصوبة التاريخية والهوياتية المحلية، مع ضمان استمرار التراكم الأكاديمي من منظور العلوم الاجتماعية بشتى فروعها حول مجال جماعة «أسرير» الذي لم تمنحه الدراسات الصحراوية ما يكفي من الاهتمام.

لائحة المراجع والمصادر

بالعربية

بوست، محمد.، "المشاريع السياحية والتنمية المحلية بالمجالات الواحية. واحتي «أسرير»-تغمرت"، **مجلة جيل للعلوم الإنسانية والاجتماعية**، مركز جيل للبحث العلمي، يوليو 2016، ع. 22.

سيد أحمد، محمود.، **فلسفة الحياة، دلتاي نموذجا**، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2005.

فائز، عبد الحميد.، "الكتابات التاريخية في مواضيع الغرب الصحراوي"، **مجلة المناهل**، مطبعة دار المناهل، 2020، ع. 99.

لبداوي، كوثر.، "التحول السوسيو-اقتصادي لوضعية المرأة المغربية أنثروبولوجيا المجال التعاوني بالمغرب الصحراوي مدخلا"، **مجلة العلوم الاجتماعية**، العدد 7، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، 2018.

لبداوي، كوثر.، ***الاقتصاد التعاوني في المجتمع المغربي. دراسة سوسيو-انثروبولوجية لتغير الروابط السوسيو-اقتصادية بجماعة "«أسرير»"-منطقة وادنون***، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2019، (مرقونة غير منشورة).

المدن، عبد الهادي.، "التاريخ الاجتماعي لواحة تغمرت خلال القرن التاسع عشر"، **البنيات الاجتماعية والاقتصادية بالصحراء**، سلسلة دراسات صحراوية، المغرب، 2011.

ناعمي، مصطفى.، "أهمية التجارة بالنسبة للبنية الاقتصادية والاجتماعية غرب الصحراء-بلاد تكنة (2)"، **مجلة البحث العلمي**، ع 36، المعهد الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط، بدون تاريخ.

ناعمي، مصطفى.، "تشكل الكمفدرالية تكنة من خلال الرواية الشفوية"، **مجلة البحث العلمي**، العدد 40، المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1991.

الهراس، المختار.، "التحليل الانقسامي للبنيات الاجتماعية في المغرب العربي: حصيلة نقدية"، **مجلة المستقبل العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1985.

الهراس، المختار.، "منهج السيرة في السوسيولوجيا"**، إشكاليات المنهاج في الفكر العربي والعلوم الإنسانية**، دار توبقال للنشر، 1987.

وزارة الداخلية، مونوغرافية الجماعة القروية «أسرير»، ولاية جهة كلميم وادنون، إقليم كلميم، الجماعة القروية «أسرير»، 2014.

باللغة الأجنبية

Bendella, Ahmed., « Une catégorie juridique pour gouverner la question du social », *Le gouvernement du social*, Béatrice Hibou & Irene Bono (Dir), Recherches internationales, KARTHALA, Paris, 2016.

De La Chapelle, Frédéric., « Esquisse d'une histoire du Sahara Occidental », *Hesperis*, VII, 1930.

De La Chapelle, Frédéric., « *Les Tekna du sud marocain : Etude géographique, historique et sociologique* », Présenté par Rahal Boubrik, Collection Etudes Sahariennes, Université Mohamed V, Faculté des lettres et des sciences humaines, 2011.

Dialmy, Abdessamad., *Le féminisme au Maroc*. Les Editions Toubkal, 2008.

Geertz, Cliford., *Le souk de Sefrou, Sur l'économie du bazar*, Collection Intérieur du Maghreb. Cefai, Daniel (Trad.), Editions Bouchene, 2003.

Joumani, Ahmed., « Oued Noun, Sud Maroc, Mythes et réalités », *L'Ouest Saharien*, n°6, Editions L'Harmattan, Paris, 2006.
Joumani, Ahmed., *L'Oasis d'Asrir, Eléments d'histoire sociale de l'Oued Noun*, Collection Histoire & Sociétés du Sud marocain, Editions La Croisée des Chemins, Imprimerie El Maarif Al Jadida-Rabat, 2008.
Lebdaoui, Hind., Lebdaoui, Kawtar., « Paving the Road to Women Empowerment », Roumate, Fatima., *Women's Leadership: Connecting Points between Morocco & Finland*. AFAK Foundation, Morocco, 2019.
Lebdaoui, Kawtar., « Liens familiaux au cœur des coopératives agricoles au Maroc : quels impacts ? », *Alternatives Rurales*, Vol. 9, 2022.
Lebdaoui, Kawtar., « Les femmes face aux difficultés d'accès au leadership local à Asrir (Maroc) », *Alternatives Rurales*, Vol. 8, 2021.
Sebti, Abdelahad., « Ztata et sécurité du voyage, un thème de pratique judiciaire marocaine ». *Hesperis Tamuda*, 1992, vol. 30, no 2.
Tozy, Mohamed., Lakhsassi, Abderrahmane., « Le Maroc des tribus : Mythe et réalité », In : Dawod, Hosham (Dir), *Tribu et pouvoirs en terre d'Islam*, Armand Colin, Paris, 2004.